Asian Journal of
Islamic Studies and Da'wah

e-ISSN : 3025-4493
p-ISSN : 3025-5252

Index : Harvard, Boston, Sydney University, Dimensions, Lens, Scilit, Semantic, Google, etc

https://doi.org/10.58578/AJISD.v3i3.5616

التفسير التحليلي للآيات (1-8) من سورة الأنعام: دراسة نموذجية

An Analytical Interpretation of Verses 1–8 of Surah Al-An'am: A Model Study

Anamul Hoque Abdul Mannan
Qatar University, Doha, Qatar
aa1103865@qu.edu.qa

Article Info:

Submitted:	Revised:	Accepted:	Published:
Apr 8, 2025	Apr 22, 2025	May 4, 2025	May 9, 2025

Abstract

This research addresses a type of interpretation: analytical interpretation. This study aims to uncover the secrets of the close connection between the Qur'anic verses in the blessed Surah Al-An'am, from verse (1) to verse (8), and the gems and pearls they contain, using an analytical and inductive approach. Surah Al-An'am is one of the Meccan surahs that addresses the fundamentals of religion, including monotheism, the message, and resurrection. It was given this name because the word "Al-An'am" appears in it. A thing may be named by its part, and this naming is of a similar nature. The aforementioned verses aim to prove the oneness of God, glory be to Him, refute the beliefs of the polytheists, and call for belief in resurrection and judgment. This modest study has reached several conclusions, the most important of which are: God's verses demonstrate His monotheism and His power in creation and management; demonstrate the polytheists' disregard for the clear signs and miracles; and

AJISD Journal is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International License

refute the polytheists' arguments and demonstrate their persistence in disbelief and denial.

Keywords: Surat Al-An'am, Analytical Interpretation, Monotheism, Resurrection, Arguments of Polytheists.

الملخص: هذا البحث يتناول نوعا من أنواع التفسير هو: التفسير التحليلي، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أسرار ذلك الترابط الوثيق بين الآيات القرآنية في سورة الأنعام المباركة من الآية (1) إلى الآية (8)، وما تتضمن الآيات من الدرر وجواهر، باستخدام المنهج التحليلي والاستقرائي، فسورة الأنعام من السور المكية التي تتناول أصول الدين من توحيد ورسالة وبعث، سميت بهذا الاسم، وذلك؛ لورود لفظ الأنعام فيها، والشيء قد يسمّى بجزئه، فهذه التسمية من قبيله، تهدف الآيات آنفة الذكر إلى إثبات وحدانية الله –سبحانه وتعالى-، وتفنيد عقائد المشركين، والدعوة إلى الإيمان بالبعث والحساب، وقد توصلت هذه الدراسة المتواضعة إلى عدة نتائج أهمها: آيات الله تدل على توحيده وقدرته في الخلق والتدبير، بيان تجاهل المشركين للآيات والمعجزات الواضحة، والردّ على حجج المشركين وبيان إصرارهم على الكفر والانكار.

الكلمات المفتاحية: سورة الأنعام، التفسير التحليلي، الوحداينة، البعث، حجج المشركين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإيمان وإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده -تعالى-نعمة القرآن الكريم، فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الرحمة الكبرى، والهداية العظمى، ومن أشرف الأعمال وأجلّها الاشتغال بعلم القرآن الكريم بيانا لمعانيه، واستنباطا لفوائده وأحكامه، وما يتضمنه من دروس وعظات تحتاجها الأمة.

يقول **ابن عطية الأندلسي-رحمه الله تعالى-** مبينا أهمية علم التفسير ومكانته: فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم، فوجدت أمتنها حبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنوارا، علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض ... الخ[1].

فسورة الأنعام من السور المكية التي تركز على اقتلاع جذور الشرك من القلوب، وبذر الإيمان وتنميته في الأفئدة، فهي تلفت الأنظار، وتنبه العقول إلى عظيم مخلوقات الله – سبحانه وتعالى- كما أنها تبين ضعف الأنداد ونقصها، وهي تكشف عن حال المشركين من حيث تعلقهم بهذه الأنداد، وأنهم في حال الشدة والذعر يخلعون هذه الأوثان، ويتعلقون بالله وحده، وينتج من ذلك؛ أنه لا يستحق العبادة إلا الله الواحد القهار-سبحانه وتعالى-.

علما أن العقيدة من المسائل المهمة التي عني علماء التفسير بتوضيحها وتأصيلها وتحقيقها وتقريرها؛ كي لا يلتبس على الناس أمرها، فيقعوا في الأهواء والضلالات التي خدع بها كثير من الناس، وفي هذا الصدد تنوعت طرائق التفسير في اتجاهات مختلفة، فمنها كالآتية:

1. التفسير التحليلي
2. التفسير الإجمالي
3. التفسير الموضوعي
4. التفسير الفقهي، وغير ذلك من أنواع التفسير المختلفة.

---

[1] ابن عطية: أبو محمد عبد الخالق بن غالب بن عبد الرحمن، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العملية، ط1، 1427ه)، ج1، ص34.

والتفسير التحليلي للقرآن الكريم هو الذي نجده في معظم كتب التفسير القديمة، وبعض كتب التفسير الحديثة، يهدف فيه المفسر إلى التفصيل وبسط الكلام، لا الإجمال وتركيز المعلومة، ومن الأمور التي يتناولها التفسير التحليلي بالإيضاح والبيان، كالآتية: أسباب النزول، القراءات، واللغة، والإعراب، ومعاني المفردات، والبلاغة، فقه الآيات، ونقل الأحاديث والآثار الواردة في الآية إن وجد، والمناسبات في الآيات إلى غير ذلك.

ومن هذا المنطلق سيقدم الباحث في هذه الدراسة نموذجا مبسطا للتفسير التحليلي؛ وذلك بتحليل تفسير الآيات (1-8) من **سورة الأنعام**، حيث تناولت هذه الآيات قضية مهمة ألا وهي قضية العقيدة؛ والمحور الرئيس فيها هو تقرير عقيدة التوحيد بالبراهين العقلية، ونقض الاعتقادات الشركية.

إشكالية البحث وأسئلته:

إن هذا البحث يجيب عن سؤال رئيس، وهو ما ذا يقصد بالتفسير التحليلي للآيات المحددة (1-8) من سورة الأنعام؟ ويتفرع عنه أسئلة، منها:

1. ما هو المحور الأساسي في الآيات المحددة؟
2. ما مدى الاستفادة من الآيات المذكورة في حاضرنا ومستقبلنا؟
3. ما هي فوائد وإرشادات الآيات المختارة من سورة الأنعام؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في النقاط الآتية:

1. الجمع بين الأصالة والمعاصرة خلال كتب التفسير القديمة وكتب التفسير الحديثة.

2. تنمية الملكة الفقهية في الاستنباط خلال الآيات المحددة من سورة الأنعام.
3. المشاركة في الصرح المعرفي في مجال التفسير التحليلي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأمور الآتية:

1. معرفة معاني الآيات المحددة في البحث.
2. الوقوف على أقوال العلماء في الآيات المذكورة.
3. استنباط بعض الهدايات والإرشادات من الآيات المطلوبة.

حدود البحث:

طبيعة البحث تقتضي أن يكون هذا البحث لطيفا ومختصرا، حيث يقوم الباحث بتسليط الضوء على الآيات المحددة (1-8) من سورة الأنعام؛ وذلك بتحليل الآيات آنفة الذكر.

الدراسات السابقة:

وجد الباحث في حدود اطلاعه عددا من الدراسات التي تناولت تفسير سورة الأنعام تفسيرا تحليليا، ومن أهمها:

أولا: رمضان: ناهد محمد عياش. **تفسير تحليلي لآيات من سورة الأنعام من الآية 59 حتى الآية 64**، (2022م، **المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب**، مصر، العدد 7، المجلد22، عدد الصفحات30)، تناول الباحث في دراسته التفسير التحليلي للآيات المحددة، حيث قسم البحث إلى مقدمة وفصلين وتحت كل فصل مباحث حسب الحاجة إليها، وخاتمة ذكر فيها أهم نتائج وتوصيات بحثه، منها سعة علم الله -تعالى- وإحاطته بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في أمر الملائكة ولا في أمر غيرهم.

أمّا بحثي سيسلط الضوء على آيات من **سورة الأنعام من الآية 1 حتى الآية 8**، حيث يقوم بتفسير الآيات المحددة تفسيرا تحليليا.

ثانيا: النشار: خلود يوسف محمد، **تفسير آيات العقيدة في سورة الأنعام من الآية (12) إلى الآية (19)**، (2022م، **مجلة كلية الدعوة وأصول الدين بجامة أم القرى**، مكة المكرمة، العدد37، المجلد الجزء الثاني 2/2، عدد الصفحات62)، بين الباحث في هذا البحث قضايا العقيدة، وأصول دين الإسلام من المسائل المهمة، وذلك من خلال عرض مسائل وتفصيلات الآية، ومن ثمّ ذكر أقوال المفسرين مع الترجيح بين الأقوال إن اقتضى المقام، وقسم بحثه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ذكر فيها أهم نتائج بحثه، منها شمولية السورة لقضايا العقيدية الأساسية، فهي مدرسة عقدية متكاملة تستقى منها الدروس العبر.

أمّا بحثي سيركز مطلع **سورة الأنعام من الآية (1) إلى الآية (8)**، حيث يقوم بدراسة الآيات المحددة دراسة متعمقة متبعا بالأسلوب التحليلي، وذلك بعرض المحور الأساسي للآيات.

منهج البحث

تمّ الاعتماد في هذا البحث على المناهج الآتية:

أولا: **المنهج الاستقرائي:** وذلك قام الباحث في هذا البحث باستقراء كتب التفسير القديمة وكتب التفسير الحديثة التي تعرض لتفسير الآيات آنفة الذكر تفسيرا تحليليا، متتبعا أقوال أهل العلم من المفسرين والفقهاء، مبينا وجه الدلالة من الآية، ومتطرقا إلى توضيح المعاني اللغوية الواردة في الآيات.

ثانيا: **المنهج الوصفي والتحليلي**: وذلك لكون الباحث يسعى إلى تصوير الكلمات الواردة في الآيات، وبيان معانيها، وتحليل الآيات تحليلا دقيقا، ومناقشتها.

هيكل البحث:

يحتوي البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة؛ وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: تشتمل على العناصر الآتية:

1. إشكالية البحث وأسئلته
2. أهمية البحث
3. أهداف البحث
4. حدود البحث
5. الدراسات السابقة
6. منهج البحث
7. هيكل البحث

المبحث الأوّل: تأملات بين يدي السورة، ويشتمل على العناصر الآتية:

1. اسم السورة، وسبب التسمية.
2. فضل السورة.
3. زمن نزول السورة.
4. نوع السورة واختلاف العلماء في كيفية نزولها.
5. ترتيب السورة وعدد آياتها.
6. المحور الرئيس للسورة.

7. الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.
8. مقاصد السورة وأغراضها.
9. مناسبة السورة لما قبلها.
10. مناسبة السورة لما بعدها.

المبحث الثاني: تفسير الآيات من (1) إلى (8) من سورة الأنعام تفسيرا تحليليا.

الخاتمة: وقد احتوت على أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، والتوصيات.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، إنه ولي التوفيق والسداد.

المبحث الأوّل: تأملات بين يدي السورة

اسم السورة وسبب تسميتها:

هذه السورة تسمى بسورة الأنعام وذلك؛ لورود لفظ الأنعام فيها، والشيء قد يسمّى بجزئه، فهذه التسمية من قبيله، هذا الاسم عرف في عهد النبي- صلى الله عليه وسلم-، ولا يوجد لها اسم غيره[2].

قال الزركشي: "وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها، إلا أن التفصيل الوارد في قوله –سبحانه وتعالى-: وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (142) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (143) وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ

[2] ينظر:ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م)، ج7، ص121.

عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [الأنعام: 142-144] (3).

وبالتأمل في الآيات السابقة يتضح سبب تسمية السورة بالأنعام وذلك؛ لورود أحكام كثيرة تتعلق بالأنعام في هذه السورة، ولبيان السورة لجهالات المشركين فيها، كتحليلهم وتحريمهم حسب أهوائهم وتقاليدهم البالية، وتقربهم بها إلى أصنامهم، لذا هناك من يسمي هذه السورة بالحجة، وذلك لكثرة ما فيها من الدلائل والبراهين، وإقام الحجة على المشركين والمنكرين(4).

فضائل سورة الأنعام:

لقد تعددت المرويات في فضل هذه السورة، ومما جاء فيها:

1. يقول جابر -رضي الله تعالى-: لمّا نَزَلَتْ سورةُ الأنعامِ سَبَّحَ رسولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قالَ: «لقد شَيَّعَ هذه السُّورةَ مِنَ الملائكةِ ما سَدَّ الأُفُقَ»(5).
2. عنِ ابنِ عبّاسٍ -رضي الله تعالى-، قالَ: «نزلتْ سورَةُ الأنعامِ بمَكَّةَ ليلًا جملةً، حولَها سبعونَ ألفَ ملَكٍ يجأرونَ حولَها بالتَّسبيحِ»(6).
3. عن أسماء بنت يزيد أم سلمة الأنصارية - رضي الله تعالى عنها- قالت: «نزلت سورةُ الأنعامِ على النَّبيِّ ﷺ ومعها زَجلٌ من الملائكةِ قد مَلَؤوا ما بين الشَّرقِ والغربِ(7)».

---

(3) الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م) ج1، ص340.

(4) ينظر: جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **الاتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتب، ط1، 1974م)، ج1، ص160.

(5) الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، رقم (3268)، جلد2، صفحة344، وقال: صحيح على شرط مسلم، وقد تعقب الذهبي الحاكم بقوله: لا والله لم يدرك جعفر السدي، وأظن هذا موضوعا.

(6) الطبراني: سليمان بن أحمد بن مطير، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، 1994م)، رقم الحديث (12930)، ج12، صفحة215، وفي إسناده علي بن جدعان وهو ضعيف.

4. يقول الإمام الرازي: اختصت هذه السورة ب «أنها نزلت دفعة واحدة [8]».

بعد التحري والبحث في الأخبار المروية والآثار الوردة في فضائل هذه السورة؛ يظهر لدى الباحث لم يثبت منها شيء، وليس لها أصل معتمد، بسند صحيح، حري بنا في هذا المكان أن نسوق كلام الآلوسي -رحمه الله تعالى- حيث قال: في تفسيره بعد ذكره جملة من الأحاديث والآثار الواردة في فضل السورة ما نصه: «إلى غير ذلك من الأخبار، وغالبها في هذا المطلب ضعيف، وبعضها موضوع كما لا يخفى» [9].

زمن نزول هذه السورة:

المفسرون تحدثوا حول تحديد زمن نزول هذه السورة المباركة بسهم وافر، والذي يرى الباحث أنها نزلت في السنة الرابعة من البعثة، ومما يرجح هذا القول: إنها نزلت عقب سورة الحجر التي أمر الله تعالى فيها نبيه-صلى الله عليه وسلم- بالجهر بالدعوة بقوله تعالى: "فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (94) إِنّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ" (95) **[الحجر: 94-95]**، ونعلم يقينا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مكث بمكة ثلاثة أعوام وهو يدعو الناس سرا، ثم أمره الله تعالى بالجهر في الدعوة، فأيده الله –تبارك وتعالى- بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، كما هو واضح من الأسلوب الذي تميزت به هذه السورة[10].

---

(7) ابن راهويه: إسحاق، **مسند إسحاق**، تحقيق: عبد الغفور، (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان،ط1، 1991م)، رقم الحديث (2298)، جلد5، ص174، قال ابن حجر في حكمه: في إسناده ليث فيه ضعف وشيخه فيه مقال.

(8) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب-التفسير الكبير-**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420ه)، ج6، ص149.

(9) الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص72.

(10) ينظر: المراغي: أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي، ط1، سنة 1946م)، ج69، صفحة124.

نوع السورة واختلاف العلماء في كيفية نزولها:

بالاتفاق سورة الأنعام مكية، وهي حسب ترتيب المصحف أول سورة مكية في السبع الطوال، نزلت هذه السورة لترسيخ جذور العقيدة في النفوس وتقرير أصول الشريعة، وإبطال ما كانوا عاكفين عليه من عبادة الأوثان والرسوم والطقوس، وغيرها من الأمور التي لا قيمة لها في الدارين.

العلماء اختلفوا في كيفية نزول سورة الأنعام، فمنهم من يرى أنها نزلت متفرقة؛ لوجود آيات مدنية فيها، ويرى فريق آخر من العلماء أنها نزلت جملة واحدة بمكة المكرمة[11]، وأكثر العلماء على هذا القول أي أنها نزلت بمكة[12]، وهذا الذي يترجح لدى الباحث، ما يؤيده أقوال العلماء في ذلك:

أولا: يقول الإمام القرطبي: "هذه السورة أصل في محاجة المشركين، وغيرهم من المبتدعين، من كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة؛ لأنها في معنى واحد من الحجة"[13].

ثانيا: يقول الإمام الرازي: أنها نزلت جملة واحدة؛ والسبب في ذلك؛ أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين، ثمّ قال: ما يدل على الأحكام أنها نزلت بقدر حاجتهم، وبحسب الحوادث والنوازل، أما ما يدلّ على علم الأصول فقد أنزله الله تعالى جملة واحدة[14].

(11) ينظر: القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد، **تفسير القاسمي محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418 ه)، ج6، ص446.

(12) ينظر: الواحدي: علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ت: الشيخ عادل، علي محمد معوض، أحمد عبد الغني، عبد الرحمن عويس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م)، ج2، ص250.

(13) القرطبي: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1974م)، ج6، ص383.

(14) ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420ه)، ج6، ص149.

ثالثا: يقول الشيخ برهان الدين البقاعي: "إنزالها على الصورة المذكورة يدل على أن أصول الدين في غاية الجلالة، وأن تعلمه واجب على الفور؛ لنزولها جملة، بخلاف الأحكام فإنها تفرق حسب المصالح"[15].

رابعا: يقول الإمام ابن عاشور: "واعلم أن نزول هذه السورة جملة واحدة على الصحيح لا يناكد ما يذكر لبعض آياتها من أسباب نزولها؛ لأن أسباب نزول تلك الآيات إن كان لحوادث قبل الهجرة فقد تتجمع أسباب كثيرة في مدة قصيرة قبل نزول هذه السورة، فيكون نزول تلك الآيات مسببا على تلك الحوادث، وإن كان بعد الهجرة جاز أن تكون تلك الآيات مدنية ألحقت بسورة الأنعام لمناسبات. على أن أسباب النزول لا يلزم أن تكون مقارنة لنزول آيات أحكامها فقد يقع السبب ويتأخر تشريع حكمه"[16].

تحرير محل النزاع حول هذه القضية: يبدو لدى الباحث أن المفسرين اختلفوا في كيفية نزولها؛ بسبب كثرة المرويات، وكلا الفريقين استدلا حسب المرويات التي الموجودة في تناولهم.

والراجح أنها مكية وهو رأي الجمهور، وذلك:

1. كثرة الأثارة التي صرحت بنزولها بمكة دفعة واحدة.
2. روايات الفريق المخالف التي اعتمدوا عليها فيها مقال، ولم يعتمد عليها المحققون.
3. من قرأ سورة الأنعام بتدبر يجد فيها سمات القران المكي واضحة جليلة[17].

---

(15) البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ط2، 1984م)، ج2، ص2.

(16) ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م)، ج7، ص123.

(17) ينظر: طنطاوي: محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر، ط1، 1998م)، ج5،ص8.

ترتيب سورة الأنعام وعدد آياتها:

سورة الأنعام هي السادسة بترتيب المصحف الشريف، «وعدد آياتها مائة وسبع وستون في العدد المدني والمكي، ومائة وخمس وستون في العدد الكوفي، ومائة وأربع وستون في الشامي والبصري.»[18]، «وكلماتُها ثلاثةُ آلافٍ واثنتان وأربعون، وحروفُها اثنتا عشرةَ ألفًا وأربعُ مئةٍ وثلاثةٌ وثلاثون»[19].

المحور الأساسي لهذه السورة:

المحور الرئيس لهذه السورة العظيمة وهي ترسيخ عقيدة التوحيد الخالص لله في الاعتقاد والسلوك، وهي تختلف عن السورة المدنية التي تتعرض لأمور أخرى من الأحكام التنظيمية للمسلمين، كالصوم والحج والعقوبات، وأحكام الأسرة، ولم تذكر أمور القتال ومحاربة الخارجين على دعوة التوحيد، كما لم تتحدث عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا عن المنافقين، وإنما تناولت القضايا الأساسية الكبرى لأصول العقيدة والإيمان، التي شغلت العقول كالآتية:

1. قضية الألوهية.
2. قضية الوحي والرسالة.
3. قضية البعث والجزاء[20].

بين الله –سبحانه تعالى- في هذه السورة الأصول الأساسية للعقيدة الإسلامية، وسلاحها في ذلك الحجة الدامغة والدلائل الباهرة والبراهين القاطعة في طريق الإلزام والإقناع؛ لأن السورة نزلت بمكة على مشركي مكة، ولقد ناقشت سورة الأنعام هذه القضايا بأسلوبين بارزين[21]، وهما:

---

[18] ينظر: ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م)، ج7، ص123.

(19) النسفي: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي، **التيسير في التفسير**، تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرون، (تركيا: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، ط1، 2019م)، ج6، ص7.

[20] ينظر: شلتوت: محمود شلتوت، **تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى**، (القاهرة: دار الشرق، ط12، 2004م)، ج1، ص294.

1. أسلوب التقرير.
2. أسلوب التلقين.

الأول: أسلوب التقرير، وهو عرض الأدلة المتعلقة بتوحيد الله تعالى والدلائل المنصوبة على وجوده، وقدرته، وقهره، وسلطانه، في صورة الشأن المسلَّم، ويضع لذلك ضمير الغائب عن الحس، الحاضر في القلب، فهو يأتي بعبارة "هو" الدالة على الخالق المدبر، مثل قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (02) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝ [الأنعام: 2-3].

أمّا الثاني: أسلوب التلقين، تعليم الرسول –صلى الله عليه وسلم- الحجج، وتلقينها إياه –صلى الله عليه وسلم-؛ لعرضها على الخصوم، بحيث تأخذ عليه سمعه، وتملك عليه قلبه فلا يستطيع التخلص أو التفلت منها، والإيماء إلى هذا الأسلوب يكون بطريق السؤال والجواب، حيث يسألهم ثم يجيبهم، وهو بعبارة "قل"، مثل قوله –تعالى-: قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (14) قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ [الأنعام: 14-15].

هكذا سورة الأنعام ناقشت المشركين، وقامت بإفحامهم بالحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، التي تقصم ظهر الباطل، ومن هنا كانت سورة الأنعام من السور المكية ذات أهمية كبيرة في تركيز الدعوة الإسلامية، وتقرر حقائقها، وتفند شبهات المعارضين لها بطريقة المناظرة والمناقشة[22].

---

[21] ينظر: الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1991م) ج7، ص127.

[22] ينظر: شلتوت: محمود شلتوت، **تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى**، (القاهرة: دار الشرق، ط12، 2004م) ج1، ص294-302.

الموضوعات التي اشتملت عليها هذه السورة كالآتية:

ويقول الشيخ الزحيلي: «ومجمل ما اشتملت عليه هذه السورة هو ما يأتي:

1. إثبات أصول الاعتقاد عن طريق الإقناع والتأثير والمناظرة والجدل، والجواب عن سؤال، كوجود الله وتوحيده وصفاته وآياته في الأنفس والآفاق، وتأثير العقيدة في العمل.
2. إثبات النبوة والرسالة والوحي والرد على شبهات المشركين بالأدلة العقلية والحسية.
3. إثبات البعث والحساب والجزاء على الأعمال يوم القيامة، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.
4. بيان أصول الدين والأخلاق والآداب أو الوصايا العشر المقررة في كل رسالة إلهية.
5. الدين من عهد آدم إلى محمد عليهما السلام واحد في أصله ووسائله وغاياته، فتجزئته، والإيمان ببعضه وترك بعضه، وتفرقته بالمذاهب والآراء الشخصية مصادم لأصل الدين.
6. السعادة والشقاوة والجزاء الأخروي على الحسنات والسيئات منوطة بالأعمال البشرية.
7. الناس ضمن السنن الإلهية والأقدار عاملون بالإرادة والاختيار، فلا جبر ولا إكراه، ولا تعارض بين إرادة الله وما يكسبه الإنسان؛ لأن قدر الله معناه ربط المسببات بالأسباب، على وفق علمه وحكمته.
8. العدل الإلهي يقتضي التفاوت بين الأمم والأفراد، فيهلك الله الظالمين، وينعم على الطائعين، ويمكّن للأصلح في إرث الحياة.
9. الله مصدر التشريع والتحليل والتحريم، فلا يحق لإنسان الإفتات على حق الله في ذلك.
10. على الإنسان الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأمم الغابرة التي كذبت الرسل، وعليه النظر في الكون للاستدلال بآياته الكثيرة على قدرة الله وعلمه وعظمته.

11. الناس في الحياة في تسابق وتنافس واختبار، ليعلم المفسد من المصلح، والجزاء ينتظر الجميع، والله يمهل ولا يهمل ليتوب الإنسان ويصلح شأنه، ورحمة الله وسعت كل شيء.»[23]

أغراض ومقاصد سورة الأنعام:

تهدف هذه السورة إلى إثبات ما يأتي:

1. إبطال اعتقادات المشركين بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة.
2. تسفيه المشركين فيما اقترحوه على النبيء صلى الله عليه وسلم من طلب إظهار الخوارق تهكما.
3. إثبات صدق القرآن بأن أهل الكتاب يعرفون أنه الحق.
4. تثبيت النبيء -صلى الله عليه وسلم - وأنه لا يؤاخذ بإعراض قومه.
5. بيان حكمة إرسال الله الرسل، وأنها الإنذار والتبشير وليست وظيفة الرسل.
6. تفاضل الناس بالتقوى، وإبطال ما شرعه أهل الشرك من شرائع الضلال.

يقول الإمام الطاهر ابن عاشور مضيفا إلى ما سبق: وهي أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية، وأشدها مقارعة جدال لهم واحتجاج على سفاهة أحوالهم من قوله: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الأنعام: 136][24].

[23] الزحيلي: وهبة، **التفسير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ، ط1، 1991م) ج7، ص127-128.

(24) ينظر: ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م)، ج7، ص123-125.

وفي «صحيح البخاري» أن سعيد بن جبير قال: إذا سَرَّكَ أنْ تَعْلَمَ جَهْلَ العَرَبِ، فاقْرَأْ ما فَوْقَ الثَّلاثِينَ ومِئَةٍ في سُورَةِ الأنْعامِ :﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قَوْلِهِ :﴿قَدْ ضَلُّوا وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: 136-140][25].

مناسبة السورة لما قبلها:

يتضح ارتباط السورة بما قبلها من أوجه متعددة، من أبرزها:

أولا: سورة المائدة تحدثت عن الحلال والحرام من الأطعمة، وذلك بقوله - تعالى- ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: 145].

ثانيا: سورة المائدة جاءت في محاجة أهل الكتاب في عقائدهم، وأطعمتهم، وجاءت سورة الأنعام في محاجة المشركين في عقائدهم، وطعامهم.

ثالثا: سورة المائدة اختتمت بفصل القضاء، وسورة الأنعام افتتحت بالحمد، وبينهما تلازم.

رابعا: أنه تعالى لما ذكر في آخر المائدة، قوله –تعالى- : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 120]، على سبيل الإجمال، افتتح الله سورة الأنعام بشرح ذلك وتفصيله، فبدأ بذكر خلق السماوات والأرض الخ[26].

(25) الراوي: سعيد بن جبير. أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار بن كثير، ط5، 1993م)، رقم الحديث (3524).

(26) ينظر: جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن**، تحقيق: عبد الكريم أحمد عطا، (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1، 2002م)، ج1، ص97.

قال الشيخ أبو زهرة -رحمه الله تعالى-: " كان ختام السورة السابقة: إثبات سلطان الله تعالى الكامل وقدرته الشاملة، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وفي مستهل سورة الأنعام يبين سبحانه السبب في كمال سلطانه، والمظهر الأعظم لكمال قدرته –سبحانه وتعالى-[27].

مناسبة السورة لما بعدها:

وجه ارتباط هذه السورة بما بعدها، هو أن السورة اشتملت:

1. بيان خلق كما قال الله – تبارك وتعالى-: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ [الأنعام: 1].
2. بيان القرون كما قال الله – تبارك وتعالى-: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ [الأنعام: 6].
3. ذكر المرسلين، وتعداد الكثير منهم. عرضت سورة الأنعام هذه الأمور الثلاثة على سبيل الإجمال، ثم جاءت سورة الأعراف مفصلة؛ لما أوجزت سورة الأنعام، فهي بمثابة الشرح والبيان، حيث بسطت قصة خلق آدم -عليه السلام-، ثم فصلت قصة المرسلين وأممهم، وكيفية هلاكهم تفصيلا شافيا[28] .

(27) ينظر: أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 2001م، ج5، ص2429.

(28) ينظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص315.

المبحث الثاني: تفسير الآيات من (1) إلى (8) من سورة الأنعام تفسيرا تحليليا

الآيات المختارة من سورة الأنعام، هي كالآتية:

قال الله – تبارك وتعالى-: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (2) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (5) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (6) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7) وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (8) [الأنعام: 1-8].

الآية الأولى: قوله- تبارك وتعالى-: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ [الأنعام: 1].

المباحث اللغوية:

(**الْحَمْدُ لِلَّهِ**): الثناء بالجميل على الفعل الاختياري الحسن، تعليما لأصول الإيمان والثناء.

والمدح أعم من الحمد؛ لأنه يحصل للعاقل ولغير العاقل، والحمد أعم من الشكر؛ لأن الأول تعظيم الفاعل لأجل الإنعام عليك أو على غيرك، وأما الشكر فهو لأجل الإنعام الواصل إليك[29].

[29] ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420هـ)، ج12، ص142.

(جَعَلَ): تكون بمعنى أنشأ وأحدث فتنصب مفعولا واحدا، وتكون بمعنى صيّر فتتعدى إلى مفعولين. وقال ابن جنّي في الخصائص: «إن العرب قد تتسع فتوقع أحد الفعلين موقع الآخر إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر». والفرق بين الجعل والخلق دقيق يلتقطه الخاطر المرهف، وهو أن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين، كإنشاء شيء من شيء، أو تصيير شيء شيئا، أو نقله من مكان الى مكان آخر[30].

مناسبة الآية:

سورة الأنعام من السور التي نزلت دفعة واحدة في مكة المكرمة، وتعد من السور الكبرى التي تهدف إلى تثبيت عقيدة التوحيد، والردّ على الكافرين، هذه الآية تتناغم مع موضوع السورة الكلي الذي يتناول التذكير بالآيات الكونية، وبيان الحجة على الكافرين، ودعوة الناس للتفكر في خلق السماوات والأرض، ويرى الإمام الآلوسي أن افتتاح سورة الأنعام بهذه الآية جاء لتمجيد الله وتوحيده، وتذكير الناس بنعمه مع توبيخ الكافرين الذين يشركون بالله رغم دلائل قدرته ووحدانيته المنتشرة في الكون[31].

الإعراب وتوجيهه:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ) كلام مستأنف للحث على التفكير والتأمل، والعدول عن الجدل والمماراة.

يقول الإمام الآلوسي: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ» جملة خبرية أو إنشائية.

---

[30] ينظر: درويش: محي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، (بيروت: دار ابن كثير، ط4، 1415 ه)، ج3، ص61.

[31] ينظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص74.

وعين بعضهم الأول؛ لما في حملها على الإنشاء من إخراج الكلام عن معناه الوضعي من غير ضرورة، بل لما يلزم على كونها إنشائية من انتفاء الاتصاف بالجميل قبل حمد الحامد؛ ضرورة أن الإنشاء يقارن معناه لفظه في الوجود.

وآخرون الثاني لأنه لو كانت جملة الحمد أخبارا، يلزم ألا يقال لقائل (الحمد لله): حامد؛ إذ لا يصاغ للمخبر عن غيره لغة من متعلق اخباره اسم قطعا، والذي عليه المحققون جواز الاعتبارين في هذه الجملة.، وأجابوا عما يلزم كلّا من المحذور.

في هذه المعضلة رجح هنا الإمام الآلوسي اعتبار الخبرية؛ لما أن السورة نزلت لبيان التوحيد، وردع الكفرة، والإعلام بمضمونها على وجه الخبرية يناسب المقام، وجعلها لإنشاء الثناء لا يناسبه[32].

(ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)، ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي، والعطف على قوله الحمد الله وما بعده على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق؛ لأنه خلق ما خلق نعمة للبشر ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته. والذين مبتدأ وكفروا فعل وفاعل والجملة صلة الموصول وبربهم متعلقان ب (كفروا) فيكون يعدلون بمعنى يميلون عنه من العدول، ويجوز أن يتعلقا ب(يعدلون) وقدم الجار والمجرور للفاصلة، ويكون يعدلون من العدل وهو التسوية بين الشيئين، أي: ثم الذين كفروا يسوّون بربهم غيره من المخلوقين فيكون المفعول محذوفا»[33]. أي يعدلونه.

التفسيروالبيان:

«افتتحت سورة الأنعام بتقرير الحقيقة الأولى في كل دين، وهي أن المستحق للحمد المطلق، والثناء الكامل هو رب العالمين، وأل في الْحَمْدُ للاستغراق، بمعنى أن المستحق لجميع المحامد ولكافة ألوان الثناء هو الله تعالى، وإنما كان الحمد مقصورا في الحقيقة على الله، لأن كل ما يستحق أن يقابل

[32] ينظر: المصدر السابق نفسه.

[33] ينظر: درويش: محي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، (بيروت: دار ابن كثير، ط4، 1415 ه)، ج3، ص61-63.

بالثناء فهو صادر عنه ومرجعه إليه، إذ هو الخالق لكل شيء، وما يقدم إلى بعض الناس من حمد جزاء إحسانهم، فهو في الحقيقة حمد لله، لأنه- سبحانه- هو الذي وفقهم لذلك، وأعانهم عليه.»[34].

«ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه، ويعدلون به سبحانه. أي: يُسَوُّوْن به غيره في العبادة التي هي أقصى غايات الشكر، الذي رأسه الحمد، مع كون كل ما سواه مخلوقا له، غير متصف بشيء من مبادئ الحمد.»[35]. «وإنما خص السماوات والأرض بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات فيما ترى العباد؛ لأنّ السماء بغير عمد ترونها فيها العبر والمنافع، والأرض مسكن الخلائق وفيها أيضاً العبر والمنافع، وجمع السماوات دون الأرض وهي مثلهنّ؛ لأنّ طبقاتها مختلفة الذات متفاوتة الآثار والحركات بالكواكب في سيرها وحركاتها في السرعة والبطء واستتار بعضها ببعض عند الخسوف وغيره، وغير ذلك مما هو محرّر عند أهله وقدمها لشرفها قدراً وعظماً، وإن كانت الأرض أشرف من حيث إنها مسكن الأنبياء»[36].

وفي المراد بالظلمات والنور ثلاثة أقوال:

1. الكفر والإيمان، قاله الحسن.
2. الليل والنهار، قاله السدي.
3. جميع الظّلمات والأنوار. قاله قتادة[37].

---

[34] طنطاوي: محمد سيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار النهضة، ط1، 1998م)، ج5، ص27.

[35] القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد، **تفسير القاسمي محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418 ه)، ج4، ص311.

[36] الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، ط1، 1431 ه)، ج1، ص409.

[37] ينظر: الجوزي: جمال الدي أبو الفرج عبد الرحمن، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1442ه)، ج2، ص8.

ومن النكت التفسيرية في الآية:

النكتة الأولى: «ونكتة وضع الرب موضع ضميره -تعالى- على كل تقدير تأكيد أمر الاستبعاد. ووجه جعل الباء متعلقة ب (يعدلون) على أحد احتماليه وب (كفروا) على الاحتمال الآخر، أنه إذا كان من العدل بمعنى التسوية يقتضي التوصل بالباء، بخلاف ما إذا كان منه بمعنى العدول، فالظاهر أنها حينئذ متعلقة بما قبلها، وما قاله المحقق التفتازاني من إنه لا مخصص لكل من توجيهي (بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُون) بواحد من العطفين، يمكن دفعه بأن وجه تخصيص كل بما خصص به اتساق نظم الآية حينئذ، وظهور شدة المناسبة بين ما عطف ب(ثم) الاستبعادية وبين ما عطف عليه وذلك، لأنه إذا قيل مثلا في الصورة الأولى إن الله تعالى استحق جميع المحامد من العباد فهم أن العدول عنه تعالى والإعراض عن حمده سبحانه في غاية الاستبعاد فيناسب أن يقال: ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه فلا يحمدونه ولا يلتفتون لفتة، و لا يناسب أن يقال: إنهم يسوون به غيره؛ إذا لم يسبق صريحا وبالقصد الأولي ما ينفي التسوية، وإذا قيل مثلا في الصورة الثانية: إنه جلّ شأنه خلق هذه الأجسام العظام مما لا يقدر عليه أحد، ناسب في الاستبعاد أن يقال: ثم الذين كفروا يسوون به ما لا يقدر على شيء، لا أنهم لا يحمدونه ويعرضون عنه »[38].

النكتة الثانية: يظهر الآلوسي –رحمه الله تعالى- التقابل بين الجمع (الظلمات) والإفراد (النور)، وذلك للدلالة على كثرة الباطل ووحدة الحق[39].

[38] الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص82.

[39] ينظر: المصدر السابق نفسه.

ومن اللطائف التفسيرية في الآية:

اللطيفة الأولى: «قال ابن عطية -رحمه الله-: (ثم) دالة على قبح فعل الذين كفروا، لأن المعنى أن خلقه السماوات قد تقرر، وآياته قد سطعت، وإنعامه بذلك قد تبين، ثم بعد هذا كله قد عدلوا بربهم. فهذا كما تقول: أعطيتك وأحسنت إليك، ثم تشتمني؟ ولو وقع العطف في هذا ونحوه ب (الواو) لم يلزم التوبيخ كلزومه ب (ثم).»[40].

اللطيفة الثانية: «الحمد» إن هذه الكلمة مذكورة في أوائل سور خمسة:

1. سورة الفاتحة، قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين} [الفاتحة: 2].
2. في أول هذه السورة، قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الأنعام: 1].
3. سورة الكهف، قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ} [الكهف: 1].
4. سورة سبأ، قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [سبأ: 1].
5. سورة فاطر، قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ} [فاطر: 1][41].

الصور البلاغة في الآية:

1. {الْحَمْدُ لِلّهِ} صيغة تفيد القصر، أي لا يستحق الحمد والثناء إلا الله.
2. {جَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ} بينهما طباق.
3. {ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} فيه استبعاد أن يعدلوا به غيره بعد قيام الأدلة على قدرته.
4. وإظهار كلمة {بِرَبِّهِمْ} بوضعه موضع الضمير لزيادة التشنيع والتقبيح.

---

[40] المصدر السابق: ج4، ص312.

[41] ينظر: النعماني: سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، **اللباب في علم الكتاب** تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م)، ج8، ص7.

5. {سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ} بينهما طباق[42].

ما ترشد إليه الآية:

1. إثبات الألوهية؛ لأن الحمد كله لله فلا شريك له.
2. إقامة الأدلة على قدرة الله تعالى وعلمه وإرادته.
3. إن المنعم بهذه النعم الجسام هو الحقيق بالحمد والعبادة.
4. (جعل) يتعدى إلى واحد إذا كان بمعنى أنشأ، كما هنا وإلى مفعولين إذا كان بمعنى (صيّر).
5. جمعت (السماوات)؛ لأنها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة بالحقيقة، بخلاف الأرضين.
6. الظاهر في (الظلمات والنور) أن المراد منهما الأمران المحسوسان بحسّ البصر.
7.

الآية الثانية: قوله- تبارك وتعالى-: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ [الأنعام: 2].

المباحث اللغوية:

1. **الأجل الأول:** هو الوقت المحدد لعمل ما من الأعمال يتم فيه أو ينتهي فيه. وهو أجل كل إنسان.
2. **الأجل الثاني:** هو أجل الدنيا.
3. **تمترون:** تشكُّون في البعث: كما تشكون في وجوب توحيده بعبادته وحده دون غيره[43].
4. **القضاء:** قد يرد بمعنى الحكم والأمر[44].

---

[42] ينظر: الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1991م) ج7، ص130.

[43] ينظر: الجزائري: جابر بن موسى أبو بكر، **أيسر التفسير لكلام العلي الكبير**، الرياض: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 2003م)، ج2، ص34.

[44] ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420ه)، ج12، ص480.

مناسبة الآية الثانية للآية الأولى:

التكامل بين الخلق الكوني والإنساني، حيث إن الآية الأولى تحدثت عن خلق السماوات والأرض، كدليل على قدرة الله، الآية الثانية تضيف إلى ذلك دليلا آخر: خلق الإنسان من الطين، وأصلهم من آدم- عليه السلام- مما يربط بين الخلق الكوني والخلق الإنساني كجزء من النظام الإلهي المتكامل[45].

الإعراب وتوجيهه:

كلام مستأنف مسوق لإقامة الحجة على امترائهم و (هو) مبتدأ و(الذي) خبر وجملة (خلقكم) لا محل لها من الإعراب؛ لأنها صلة الموصول و(من طين) جار ومجرور متعلقان بخلقكم، (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي و(قضى أجلا) فعل ماض ومفعول به، والجملة عطف على جملة (خلقكم)، وأجل (الواو) استئنافية، وأجل مبتدأ، ساغ الابتداء به مع أنه نكرة لأنه وصف بصفة، بقوله: «مسمى»؛ بدونها لا يجوز قرارها بالمبتدأ، وعنده ظرف مكان متعلق بمحذوف خبره، (ثم) حرف عطف واستبعاد لتراخي الرتبتين، و(أنتم) مبتدأ وجملة (تمترون) خبر[46].

التفسيروالبيان:

«هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ استئناف مسوق؛ لبيان بطلان كفرهم بالبعث، مع مشاهدتهم لما يوجب الإيمان به، إثر بيان بطلان إشراكهم به -تعالى-، مع معاينتهم لموجبات توحيده. وتخصيص خلقهم

---

[45] ينظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج4، ص83-85.

[46] ينظر: درويش: محي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، (بيروت: دار ابن كثير، ط4، 1415 هـ)، ج3، ص62.

بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث، مع أن ما ذكره من خلق السماوات والأرض من أوضحها وأظهرها»[47].

قال الإمام البيضاوي: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ أي ابتدأ خلقكم منه، فإنه المادة الأولى وأن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه، أو خلق أباكم فحذف المضاف (أب) وأقيم المضاف إليه مكانه وهو (كم). ثُمَّ قَضى أَجَلًا أي أجل الموت. وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ أي أجل القيامة[48].

قوله تعالى: (ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ) يقول الإمام ابن الجوزي-رحمه الله تعالى- فيها ستة أقوال وهي كالآتية:

1. الأجل الأول: أجل الحياة إلى الموت والأجل الثّاني: أجل الموت إلى البعث.
2. الأجل الأول: النوم الذي تُقْبَضُ فيه الروح، والأجل الثاني: أجل موت الإنسان.
3. الأجل الأول: أجل الآخرة متى يأتي، والأجل الثاني: أجل الدنيا، قاله مجاهد في رواية.
4. الأول: خلق الأشياء في ستة أيام، والثاني: ما كان بعد ذلك إلى يوم القيامة.
5. الأول: قضاه حين أخذ الميثاق على خلقه، والثاني: الحياة في الدنيا.
6. أن الأول: أجل من قد مات من قبل، والثاني: أجل من يموت من بعد[49].

يقول الإمام الماوردي: {تَمْتَرُونَ} فيه وجهان:

1. تشكون، والامتراء: الشك.
2. تختلفون، مأخوذ من المراء وهو الاختلاف[50].

---

[47] القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد، **تفسير القاسمي محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418 ه)، ج4، ص312-314.

[48] ينظر: البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418ه)، ج2، ص153.

[49] ينظر: الجوزي: جمال الدي أبو الفرج عبد الرحمن، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1442ه)، ج2، ص9.

ومن النكت التفسيرية:

النكتة الأولى: وفيما شكوا فيه قولان:

1. الوحدانية
2. البعث[51].

النكتة الثانية: «إن دليل الأنفس أقرب إلى الناظر من دليل الآفاق الذي في الآية السابقة، والشكر عليه أوجب.»[52].

الصور البلاغية في الآية الثانية:

1. الإيجاز البلاغي: كلمات قليلة للتعبير عن معان عظيمة من خلق الإنسان والأجل المقدر له.
2. المقابلة: (أجل) حياته في الدنيا، (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة والبعث.
3. التدرج في الزمن: (خلقكم من طين) بداية الخلق، (ثم قضى أجلا) انتهاء حياة الإنسان، (وأجل مسمى عنده) موعد البعث والحساب.
4. الضمير (هو) في بداية الآية يفيد الحصر أي أن الله وحده هو الخالق والمدبر.

ما ترشد إليه الآية:

1. الإقرار بقدرة الله تعالى على الخلق، والتفكر في حكمته تعالى.
2. ابتداء خلق الإنسان من طين، أي آدم -عليه السلام- والخلق نسله، الفرع يضاف إلى أصله.

---

(50) ينظر: الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون الشهير بتفسير الماوردي**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1431هـ)، ج2، ص93.

(51) المصدر السابق نفسه.

(52) ينظر: القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد، **تفسير القاسمي محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418 هـ)، ج4، ص313.

3. إيراد خلق الإنسان بعد خلق السماوات والأرض: بيان خلق العالم الكبير بعد العالم الصغير.
4. تحديد أجل الدنيا، وأجل القيامة من الله تعالى[53].
5. محاربة الشك والارتياب، والإيمان بالغيب.
6. الاستعداد ليوم القيامة، تحث الآية الإنسان على العمل الصالح؛ استعدادا ليوم القيامة.

الآية الثالثة: قوله- تبارك وتعالى-: وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ [الأنعام: 3].

المباحث اللغوية:

الكسب: «الفعل لاجتلاب نفع أو دفع ضرر، ولهذا لا يقال لفعل الله: كسب.»[54].

الإعراب وتوجيهه:

الكلام مستأنف مسوق للتنبيه على صفات الألوهية التي لا يستحقها غيره. و(هو) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ أو هو ضمير الشأن، والله خبر، وفي السماوات جار ومجرور متعلقان بمعنى اسم الله، أي: المعبود فيها وفي الأرض جار ومجرور متعلقان أيضا بمعنى اسم الله.

وجملة يعلم خبر ثان أو حالية، وسركم مفعول به، وجهركم عطف على سركم، وجملة ويعلم عطف على جملة يعلم، وما اسم موصول مفعول به، وجملة تكسبون صلة لا محل لها من الإعراب[55].

---

[53] ينظر: الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1991م) ج7، ص136.

[54] الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1991م)، ج6، ص390.

[55] ينظر: درويش: محي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، (بيروت: دار ابن كثير، ط4، 1415 ه)، ج3، ص61.

مناسبة الآية الثالثة لسياق السورة:

الآية تأتي في سياق إثبات التوحيد وتنزهيه عن الشركاء، بعد أن تناولت الآيتان السابقتان قدرة الله تعالى في الخلق والتدبير، هذه الآية لتبرز صفة أخرى من صفات الله تعالى، وهي شمولية علمه بكل شيء، سواء في السماوات أو في الأرض، في السر والجهر، وما يفعله الإنسان، وتذكير الإنسان بأن الله يعلم أفعاله الظاهرة والباطنة، مما يحث على مراقبة نفسه وأعماله في كل الأحوال[56].

التفسيروالبيان:

يقول الإمام الرازي: «إن قلنا: إن المقصود من الآية المتقدمة إقامة الدليل على وجود الصانع القادر المختار، قلنا: المقصود من هذه الآية بيان كونه تعالى عالما بجميع المعلومات، فإن الآيتين المتقدمتين تدلان على كمال القدرة، وهذه الآية تدل على كمال العلم وحينئذ يكمل العلم بالصفات المعتبرة في حصول الإلهية، وإن قلنا: المقصود من الآية المتقدمة إقامة الدلالة على صحة المعاد، فالمقصود من هذه الآية تكميل ذلك البيان، وذلك لأن منكري المعاد إنما أنكروه لأمرين أحدهما: أنهم يعتقدون أن المؤثر في حدوث بدن الإنسان هو امتزاج الطبائع وينكرون أن يكون المؤثر فيه قادرا مختارا. والثاني: أنهم يسلمون ذلك إلا أنهم يقولون: إنه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع من العاصي، ولا تميز أجزاء بدن زيد عن أجزاء بدن عمرو ثم إنه تعالى أثبت بالآيتين المتقدمتين كونه تعالى قادرا ومختارا لا علة موجبة، وأثبت بهذه الآية كونه تعالى عالما بجميع المعلومات، وحينئذ تبطل جميع الشبهات التي عليها مدار القول بإنكار المعاد، وصحة الحشر والنشر»[57].

---

[56] ينظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص85-86.

(57) الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420ه)، ج12، ص481.

«لا يمكن حمل هذا الكلام على ظاهره فوجب التأويل وهو من وجوه: الأول: أن قوله وهو الله في السماوات وفي الأرض يعني وهو الله في تدبير السماوات والأرض كما يقال: فلان في أمر كذا أي في تدبيره وإصلاح مهماته، ونظيره قوله تعالى: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله والثاني: أن قوله وهو الله كلام تام، ثم ابتدأ وقال: في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم والمعنى إله سبحانه وتعالى يعلم في السماوات سرائر الملائكة، وفي الأرض يعلم سرائر الإنس والجن. والثالث: أن يكون الكلام على التقديم والتأخير والتقدير: وهو الله يعلم في السماوات وفي الأرض سركم وجهركم، ومما يقوي هذه التأويلات أن قولنا: وهو الله نظير قولنا هو الفاضل العالم، وكلمة هو إنما تذكر هاهنا لإفادة الحصر، وهذه الفائدة إنما تحصل إذا جعلنا لفظ الله اسما مشتقا فأما لو جعلناه اسم علم شخص قائم مقام التعيين لم يصح إدخال هذه اللفظة عليه، وإذا جعلنا قولنا: الله لفظا مفيدا صار معناه وهو المعبود في السماء وفي الأرض، وعلى هذا التقدير يزول السؤال والله أعلم.»[58].

اللطائف التفسيرية:

اللطيفة الأولى: «وقوله سبحانه: وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم قاعدة الكلام في هذه الآية: أن حلول الله في الأماكن مستحيل- تعالى- بأن يحتويه مكان، كما تقدس أن يحده زمان، بل كان قبل أن خلق المكان والزمان، وهو الآن على ما عليه كان»[59].

اللطيفة الثانية: «قال الرازي: الآية تدل على كون الإنسان مكتسبا للفعل، والكسب هو الفعل المفضي إلى اجتلاب نفع، أو دفع ضرّ. ولهذا السبب لا يوصف فعل الله بأنه كسب، لكونه تعالى منزّها عن جلب النفع، ودفع الضرّ- والله أعلم-»[60].

(58) المصدر السابق نفسه، ج12، ص482.

(59) الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ، ج2، ص444.

من النكت التفسيرية:

«الأفعال إمّا أفعال القلوب وهي المسماة بالسر وإمّا أفعال الجوارح وهي المسماة بالجهر والأفعال لا تخرج عن السرّ والجهر فقوله تعالى: {ويعلم ما تكسبون} يقتضي عطف الشيء على نفسه وهو غير جائز أجيب: بأنّ المراد بالسر ما يخفى وبالجهر ما يظهر من أحوال الأنفس، وبالمكتسب أعمال الجوارح فهو كما يقال: هذا المال كسب فلان أنه مكتسبه فلا يحمل على نفس الكسب وإلا لزم عطف الشيء على نفسه»[61].

القراءة الشاذة في الآية:

«**{وهو الله}** الضمير لله والله خبره وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائيّ بسكون الهاء من وهو والباقون بالضم»(62).

الصور البلاغة في الآية:

1. وجوز أن يكون استعارة بالكناية بأن شبه عز اسمه بمن تمكن في مكان وأثبت له من لوازمه وهو علمه به وبما فيه، وليس هذا من التشبيه المحظور في شيء وعليه يكون قوله تعالى: يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ أي ما أسررتموه وما جهرتم به من الأقوال أو من الأفعال بيانا للمراد وتوكيدا لما يفهم من الكلام.
2. استعارة تمثيلية بأن شبهت الحالة التي حصلت من إحاطة علمه -سبحانه وتعالى- بالسموات والأرض وبما فيهما بحالة بصير تمكن في مكان ينظره.

---

[60] القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد، **تفسير القاسمي محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418 ه)، ص446، ج6

[61] الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، ط1، 1431 ه)، ج1، ص410.

[62] المصدر السابق نفسه..

3. وجوز أن يكون مجازا مرسلا باستعماله في لازم معناه وهو ظاهر[63].

ما ترشد إليه الآية:

1. الله المعظم والمستحق للعبادة في السماوات وفي الأرض.
2. يعلم سرّ العباد وجهرهم في السماوات وفي الأرض، فلا يخفى عليه شيء.
3. يجب أن يدرك الإنسان، أن كل أعماله مرصودة ومسجلة
4. الآية دعوة إلى الإخلاص ومراقبة النفس في القول والعمل؛ إذ لا يخفى على الله شيء.
5. تنزيهه -جلّ وعزّ- عن الحركة والانتقال وشغل الأمكنة[64].

الآية الرابعة: قوله- تبارك وتعالى-: وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ [الأنعام: 4]

المفردات اللغوية:

1. {ما}: لعموم النفي.
2. {وَما تَأْتِيهِمْ} أي أهل مكّة.
3. {مِنْ} صلة زائدة لاستغراق الجنس؛ حيث إنها وقعت في حيز النفي.
4. {آيَةٍ مِنْ آياتِ رَبِّهِمْ} هي الآيات القرآنية المرشدة إلى وجود الله والمثبتة نبوّة محمد -صلى الله عليه وسلم-.
5. {مُعْرِضِينَ} متولّين عنها، والإعراض: التولّي عن الشيء[65].

(63) ينظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص85.

(64) ينظر: ينظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص85.

(65) ينظر: الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1991م) ج7، ص137.

الإعراب وتوجيهه:

قوله: وما تأتيهم إلخ كلام مبتدأ لبيان بعض أسباب كفرهم وتمردهم، وهو الإعراض عن آيات الله التي تأتيهم كمعجزات الأنبياء، وما يصدر عن قدرة الله الباهرة مما لا يشك من له عقل أنه فعل الله سبحانه، و(مِنْ) الأولى لاستغراق الجنس الذي يقع في حيز النفي، والثانية للتبعيض، أي: ما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي توجب النظر والتأمل والاعتبار، إلا أهملوه وأعرضوا عنه؛ لقسوة قلوبهم وعدم تدبرهم للعواقب، واستخدام فعل المضارع في قوله تعالى (تأتيهم) يدل على تكرار حدوث الآيات واستمرارها[66].

مناسبة الآية:

تكلّم الله تعالى في الآيات السابقة أوّلا عن التّوحيد، وثانيا في المعاد والبعث، وثالثا فيما يثبت الأمرين بالدّلائل الواضحة، ثمّ ذكر هنا ما يتعلّق بالنّبوة، فأبان سبب إعراض الكفار عن آيات ربّهم بعد إتيان النّبي صلى الله عليه وسلم بها، وهو إشراكهم بالله وتكذيبهم الرّسل، وأنذرهم عاقبة التّكذيب بالحقّ بدليل ما حلّ بالأمم الذين مضوا قبلهم[67].

التفسيروالبيان:

إن هؤلاء الجاحدين لرسالات الله، لا تأتيهم معجزة من المعجزات الدالة على صدقك- يا محمد- إلا تلقوها بالإعراض، واستقبلوها بالنبذ والاستخفاف.

---

[66] الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، **فتح القديرالجامع بين فني الرو اية والدراية من التفسير**، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1414ه)، ج2، ص115.

[67] المصدر السابق نفسه.

فالآية الكريمة، كلام مستأنف سيق لبيان كفرهم بآيات الله- تعالى- وإعراضهم عنها بالكلية بعد بيان كفرهم بالله- تعالى- وإعراضهم عن بعض آيات التوحيد. وامترائهم في البعث، وإعراضهم عن أدلة،[68].

الصور البلاغية في الآية:

1. والآية الكريمة بأسلوبها المتضمن الحصر، أي (ما النافية) و (إلا الاستثنائية).
2. وباشتمالها على كان وخبرها المفيد للدوام، والاستمرار، تفيد أن الإعراض عن الحق دأبهم.
3. وإضافة الآيات إلى اسم الرب- عز وجل- تدل على تفخيم شأنها[69].
4. التنكير في (آية) يفيد التعظيم والتعميم.

من النكت التفسيرية:

منها: «وأصل الإعراض صرف الوجه عن شيء من المحسوسات. واستعماله في عدم الاعتناء أو ترك النظر مجاز على ما حققه البعض.»[70].

ما ترشد إليه الآية:

1. وفي الكلام إشارة إلى غاية انهماكهم في الغي والضلال [71].
2. ودأبهم الإعراض عن الحق، أصبح سجية لهم.
3. خطورة الإعراض عن الحق.
4. التذكير بضرورة التفكر في آيات الله.

---

[68] طنطاوي: محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار النهضة، ط1، 1998م)، ج5، ص36.

[69] المصدر السابق: ج5، ص37.

[70] ينظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص88.

(71) ينظر: المصدر السابق نفسه.

الآية الخامسة: فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ **[الأنعام: 5]**

المفردات اللغوية:

1. «الحق: الحق هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الدين الحق.»
2. «أنباء: أخبار ما كانوا به يستهزئون وهو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.»[72].

التفسيروالبيان:

يقول الإمام الرازي: اعلم أنه -تعالى- رتب أحوال هؤلاء الكفار على ثلاث مراتب، فالمرتبة الأولى: كونهم معرضين عن التأمل في الدلائل والتفكر في البينات، والمرتبة الثانية: كونهم مكذبين بها وهذه المرتبة أزيد مما قبلها، لأن المعرض عن الشيء قد لا يكون مكذبا به، بل يكون غافلا عنه غير متعرض له، فإذا صار مكذبا به فقد زاد على الإعراض، والمرتبة الثالثة: كونهم مستهزئين بها لأن المكذب بالشيء قد لا يبلغ تكذيبه به إلى حد الاستهزاء، فإذا بلغ إلى هذا الحد فقد بلغ الغاية القصوى في الإنكار، فبين تعالى أن أولئك الكفار وصلوا إلى هذه المراتب الثلاثة على هذا الترتيب. واختلفوا في المراد بالحق فقيل إنه المعجزات: قال ابن مسعود: انشق القمر بمكة وانفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة، وقيل إنه القرآن، وقيل: إنه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إنه الشرع الذي أتى به محمد -صلى الله عليه وسلم- والأحكام التي جاء بها، وقيل: إنه الوعد والوعيد الذي يرغبهم به تارة ويحذرهم بسببه أخرى، والأولى دخول الكل فيه.

وأما قوله تعالى: (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون) المراد منه الوعيد والزجر عن ذلك الاستهزاء، فيجب أن يكون المراد بالأنباء لا نفس الأنباء، بل العذاب الذي أنبأ الله تعالى به»[73].

---

[72] الجزائري: جابر بن موسى أبو بكر، **أيسر التفسير لكلام العلي الكبير**، الرياض: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 2003م)، ج2، ص37.

(73) ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420ه)، ج12، ص482.

من النكت التفسيرية:

النكتة الأولى: «والفاءُ لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكنْ لَا على أنَّها شيءٌ مغايِرٌ له في الحقيقة واقعٌ عَقيبَه أو حاصلٌ بسببه، بل على أنَّ الأول وهو عينُ الثاني حقيقة وإنَّما الترتيبُ بحسَب التغايُرِ الاعتباريِّ وقد لتحقيقِ ذلك المعنى»[74].

النكتة الثانية: «والمراد بهذه الأنباء ما في القرآن من الوعد بنصر الله لرسوله، وإظهار دينه، ووعيد أعدائه بتعذيبهم وخذلانهم في الدنيا ثم بهلاكهم في الآخرة وقد أتاهم ذلك فكان من أوائله ما نزل بهم من القحط، وما حل بهم في بدر»[75].

ما ترشده الآية:

1. التحذير من التكذيب بالحق.
2. الوعيد للمستهزئين.
3. الاستهزاء لا يغير الحقيقة.
4. دعوة ضمنية للإيمان.
5. التأكيد على ظهور الحق.

(74) أبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1431هـ)، ج3، ص110.

[75] رشيد رضا: محمد، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ط1، 1990م)، ج7، ص253.

الآية السادسة: قوله- تبارك وتعالى-: أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَتَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ [الأنعام: 6].

المفردات اللغوية:

1. «من قرن: أي أهل قرن من الأمم السابقة، والقرن مائة سنة.
2. مكنا لهم في الأرض: أعطيناهم من القوة المادية ما لم نعط هؤلاء المشركين.
3. مدراراً: مطراً متواصلاً غزيراً.
4. بذنوبهم: أي بسبب ذنوبهم وهي معصية الله ورسله.
5. وأنشأنا: خلقنا بعد إهلاك الأولين أهل قرن آخرين.»[76].

مناسبة الآية:

الآية تأتي في سياق التحذير من تكذيب الكفار واستكبارهم، فتذكرهم بمصير الأمم السابقة التي أهلكها الله بسبب كفرها رغم تمكينها في الأرض، الإمام الآلوسي يشير إلى أن هذه الآية جاءت لتكون عظة للكافرين الذين لم يعتبروا بمن سبقهم، وإظهار قدرة الله على الإهلاك والتمكين، والآية تؤكد أن الله هو الذي يهب النعم ويمكن الأمم، لكنه أيضًا قادر على إزالتها إذا استمروا في الكفر، والإمام الآلوسي يوضح أيضا أن التمكين الذي حظيت به الأقوام السابقة كان أعظم مما حظي به مشركو مكة، ومع ذلك أهلكهم الله بسبب ذنوبهم[77].

الإعراب وتوجيهه:

[76] الجزائري: جابر بن موسى أبو بكر، **أيسر التفسير لكلام العلي الكبير**، الرياض: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 2003م)، ج2، ص37.

[77] الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص89-90.

استئنافٌ مَسوقٌ لتعيين ما هو المرادُ بالإنباء التي سبق بها الوعيد، وتقرير إتيانِها بطريق الاستشهاد، وهمزةُ الإنكار لتقرير الرؤية وهي عِرْفانية مستدعيةٌ لمفعول واحد، وكم استفهاميةً كانت أو خبريةً معلّقةٌ لها عن العمل، مفيدة للتكثير سادّةٌ معَ ما في حيزها مسد مفعول، منصوبةٌ بأهلكنا على المفعولية على أنَّها عبارةٌ عن الأشخاص ومن قرن مميّزٌ لها على أنه عبارةٌ عن أهل عصر من الأعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر، وقيل: أي من أهلَ قرن وأما انتصابها على المصدرية أو على الظرفية على أنَّها عبارةٌ عن المصدر أو عن الزمان فتعسفٌ ظاهر ومن الأولى ابتدائية متعلقة بأهلكنا، كعادٍ وثمودَ وأضرابِهم، قوله تعالى **{مكناهم فِى الارض}** استئناف لبيان كيفيةِ الإهلاك وتفصيلِ مباديه مبنيٌّ على سؤال نشأ من صدر الكلامِ كأنَّه قيلَ كيفَ كان ذلك فقيل مكانهم الخ وقيل هو صفةٌ لقرنٍ لِما أن النكرةَ مفتقرةٌ إلى مخصص فإذا وَلِيَهَا ما يصلُح مخصِّصاً لها تعين وصيفته لها وأنتَ خبيرٌ بأنَّ تنوينَه التفخيميَّ مُغنٍ له عن استدعاء الصفة.

قوله تعالى **{مَا لَمْ نُمَكّن لَّكُمْ}** بعد قوله تعالى مكناهم فِي الأرض كأنَّه قيلَ في الأول مكنا لهم أو في الثاني ما لم نمكنْكم وما نكرةٌ موصوفةٌ بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها على النصب على المصدرية أي مكناهم تمكيناً لم نمكنْه لكم والالتفاتُ لما في مواجهتهم بضَعف الحال مزيدُ بيانٍ لشأن الفريقين؛ **{وَأَرْسَلْنَا السماء}** أي المطرَ أو السحاب أو المظلة لأنها مبدأ المطر **{عَلَيْهِمْ}** متعلق بأرسلنا **{مُّدْرَاراً}** أي مِغزاراً حال من السماء **{وَجَعَلْنَا الانهار}** أي صيّرناها فقوله تعالى **{تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ}** مفعولٌ ثانٍ لجعلنا أو أنشأناها، فهو حالٌ من مفعولِه ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخّرةً لهم مستمرةً على الجريان على الوجه المذكور، ما ليس في أن يقالَ وأجرينا الأنهارَ من تحتهم وليس المرادُ بتَعدادِ هاتيك النعم العظامِ الفائضةِ عليهم بعد ذكر تمكينهم بيانَ عِظَم جنايتهم في كفرانها واستحقاقَهم بذلك لأعظم العقوبات بل بيانَ حيازتهم لجميعه أسباب نيل المآرب ومبادئ الأمن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدمَ إغناءِ ذلك عنهم شيئاً

والمعنى أعطيناهم من البسطة في الأجسام والامتداد في الأعمار والسَّعةِ من الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضارِّ ما لم نُعط أهلَ مكةَ ففعلوا ما فعلوا {فأهلكناهم بِذُنُوبِهِمْ} أي أهلكنا كلَّ قرن من تلك القرون بسبب ما يخُصّهم من الذنوب فما أغنى عنهم تلك العُدَدُ والأسباب فسيحِلُّ بهؤلاء مثلُ ما حلَّ بهم من العذاب وهذا كما ترى آخِرُ ما به الاستشهادُ والاعتبار وأما قولُه سبحانه **{وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ}** أي أحدثنا من بعد إهلاك كل قرن **{قَرْناً آخَرِين}** بدلاً من الهالكين فلبيان كمالِ قدرتِه تعالى وسَعة سُلطانه وأن ما ذُكر من إهلاك الأمم الكثيرة، لم يَنْقُصْ من ملكه شيئاً بل كلما أهلك أمةً أنشأ بدلها أخرى[78].

التفسيروالبيان:

اعلم أن الله تعالى لما منعهم عن ذلك الإعراض والتكذيب والاستهزاء بالتهديد والوعيد أتبعه بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة في هذا الباب فوعظهم بسائر القرون الماضية، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط، وقوم شعيب، وفرعون، وغيرهم[79].

الصور البلاغية في الآية:

1. «والاستفهام الذي صدرت به الآية الكريمة لتوبيخ الكفار وتبكيتهم، وإنكار ما وقع منهم من إعراض واستهزاء، وهو داخل على فعل محذوف دل عليه سابق الكلام ولاحقه.»[80]

(78) ينظر: أبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مز ايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1431ه)، ج3، ص110.

[79] ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420ه)، ج12، ص487.

(80) طنطاوي: محمد سيد، التفسير **الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار النهضة، ط1، 1998م)، ج5، ص38.

2. «الكفار المحكي عنهم المستفهم عن حالهم، فعدل عن ذلك بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب، لما في إيراد الفعلين بضميري الغيبة من إيهام اتحاد مرجعهما، وكون المثبت عين المنفي، فقيل ما لم نمكن لكم»[81].
3. التقابل بين التمكين والإهلاك.
4. كم مفيدة للتكثير.
5. التشبيه الضمني، شبه المطر الغزير كالعطاء الذي لا ينقطع.

ما ترشده الآية:

1. التذكير بعاقبة الأمم السابقة.
2. التأكيد على قدرة الله تعالى.
3. تحذير للمكذبين والمشركين.
4. دعوة للتفكر في التاريخ والعبرة.
5. إن الذنوب سبب الانتقام وزوال النعم عبر التاريخ.
6. الإشارة إلى نعمة التمكين في الأرض.

الآية السابعة: قوله- تبارك وتعالى-: وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌمُّبِينٌ [الأنعام: 7]

المفردات اللغوية:

1. {كِتاباً} أي صحيفة مكتوبة ذات غرض محدد.
2. {قِرْطاسٍ} ورق أو رقّ يكتب عليه، أي كل ما يكتب عليه.
3. {فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ} أبلغ من (عاينوه) لأنه أنفى للشّك.

(81) المصدر السابق نفسه.

4. {سِحْرٌ} أي خداع وتمويه لا حقيقة له، ويقولون ذلك تعنتا وعنادا[82]

المناسبة:

ساقت الآيات السابقة بعض المواقف من عناد المشركين، وتستمر الآيات هنا في بيان شبهات جحودهم وعنادهم ومكابرتهم للحقّ ومنازعتهم فيه، تلك الشّبهات الموجّهة إلى الوحي وبعثة الرّسول -صلى الله عليه وسلم-، فصاروا منكرين أصول الدّين الثلاث: التّوحيد والبعث ونبوّة محمد صلى الله عليه وسلم[83].

التفسيروالبيان:

«ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق. فلمسوه بأيديهم فمسوه، وتخصيص اللمس، لأن التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم أن يقولوا: إنما سكرت أبصارنا، ولأنه يتقدمه الإبصار حيث لا مانع، وتقييده بالأيدي لدفع التجوز»[84].

«{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ} جملةٌ مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب؛ لبيان شدةِ شكيمتِهم في المُكابرة وما يتفرَّع عليها من الأقاويل الباطلةِ إثر بيان إعراضهم عن آياتِ الله تعالى، وتكذيبِهم بالحق واستحقاقِهم بذلك لنزولِ العذاب ونسبة التنزيل ههنا إليه عليه السلام مع نسبة إتيانِ الآياتِ، ومجيءِ الحقِّ فيما سبق إليهم للإشعار بقَدْحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحِهم فيما نزل عليه صريحاً، وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبدِ اللَّه بنِ أبي أمية ونوفل ابن خويلد لما قالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لن نؤمن لك حتى تأتيَنا بكتاب مّنْ عِندِ الله، ومعه أربعةٌ من الملائكة يشهدون أنَّه من عندِ الله، - تعالى- وأنك رسولُه، {كتابا} إن جُعل اسما كالإمام

---

[82] ينظر: الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1991م) ج7، ص141.

[83] المصدر السابق: ج7، ص143.

[84] ينظر: البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418ه)، ج2، ص155.

فقوله تعالى {فِي قِرْطَاسٍ} متعلقٌ بمحذوف وقع صفة له أي كتاباً كائناً في صحيفة وإن جعل مصدراً بمعنى المكتوب فهو متعلِّق بنفسه {فلمسوه} أي لكتاب وقيل: القرطاس وقوله تعالى: {بِأَيْدِيهِمْ} مع ظهور أن اللمس لا يكون عادة إلا بالأيدي لزيادة التعين ودفع احتمالِ التجوُّز الواقعِ في قوله تعالى وأما لَمَسْنَا السماء أي تفحّصنا أي فمسوه بأيدهم بعد ما رأَوْه بأعينهم بحيث لم يبقَ لهم في شأنه اشتباه، ولم يقدِروا على الاعتذار بتسكير الأبصار {لقالوا} وإنما وضع الموصولُ موضعَ الضمير للتنصيص على اتِّصافُهم بما في حِّيزِ الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسنُ موقعِه باعتبار مفهومه اللغوي أيضاً {إِنَّ هَذَا} أي ما هذا مشيرين إلى ذلك الكتاب {إِلَاّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} أي بيّنٌ كونُه سحراً تعنتا وعناداً للحق بعد ظهوره كما هو دأْبُ المُفحَمِ المجوج وديدان المكابِرِ اللَّجوج»[85].

القراءة الشاذة في الآية:

«والقرطاس بكسر القاف وضمها، وقرئ بهما معرب كراسة كما قيل، وممن نص على أنه غير عربي الجواليقي، وقيل: إنه مشترك ومعناه الورق، وعن قتادة الصحيفة، وفي القاموس القرطاس مثلثة القاف وكجعفر ودرهم الكاغد، وقال الشهاب: هو مخصوص بالمكتوب أو أعم منه ومن غيره.»[86].

الصور البلاغية في الآية:

1. الشرط غير الواقع (الافتراض المحال) وذلك أن الكفار لن يؤمنوا، حتى لو أنزل الله كتابا مكتوبا.
2. التجسيم: اللمس بالأيادي، حيث فيه تجسيم للكتاب وأنه ملموس.
3. استعارة تمثيلية: وذلك باعتقادهم الزائف على أن المعجزة ليست إلا سحرا.

(85) أبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1431ه)، ج3، ص112-113.

(86) ينظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص88.

ما ترشد إليه الآية:

1. بيان إعجاز القرآن.
2. إظهار عناد وتعنت الكافرين.
3. الدليل على قوة الإيمان.
4. الرد على طلبات المشركين.
5. التحذير من الإعراض عن الحق.

الآية الثامنة: قوله- تبارك وتعالى-: وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ [الأنعام: 8]

المفردات اللغوية:

1. {لَوْلا أُنْزِلَ} أي هلّا أنزل.
2. {لَقُضِيَ الْأَمْرُ} أي لتّم أمر هلاكهم.
3. {ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ} أي لا يمهلون لتوبة، كعادة الله فيمن قبلهم، لا يؤخرون طرفة عين[87].

الإعراب وتوجيهه:

«{وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} شروع في قدحهم في نبوته -عليه السلام- صريحاً بعد ما أُشير إلى قدحهم فيهما ضِمناً وقيل هو معطوفٌ على جواب لو وليس بذاك لما أن تلك المقالةَ الشنعاءَ ليست مما يُقدَّر صدورُه عنهم على تقدير تنزيلِ الكتابِ المذكور بل هي من أباطيلهم المُحقّقة

[87] ينظر: الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1991م) ج7، ص141.

وخُرافاتهم المُلفّقة التي يتعللون بها كلما ضاقتْ عليهم الحيلُ وعيَّت بهم العلل أي هلا أُنزل عليه السلام مَلكٌ بحيث نراه ويكلمنا أنه نبيٌّ حسبما نُقل عنهم[88]

مناسبة الآية:

الكفار اقترحوا أن ينزل الله ملكًا ليصدق دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، فجاءت الآية ردًّا على هذا الطلب غير المبرر، لتوضيح أن نزول الملك لن يؤدي إلا إلى هلاكهم، إذ إن سنة الله تقضي بالإهلاك إذا جاء الملك بالحجة القاطعة ولم يؤمنوا، واستمرار سياق التعنت والمكابرة ضمن سياق الحديث عن عناد المشركين ومكابرتهم للحق، كما في الآيات السابقة التي ذكرت تكذيبهم للآيات والمعجزات، الإمام الآلوسي يُبرز أن طلبهم نزول ملك كان استهزاءً وعنادًا، وليس رغبة صادقة في الهداية، وبيان حكمة الله في تأخير العذاب، وأن الله لم يُنزِل الملك لأنه لو فعل، لتمت الحجة عليهم وقُضي أمرهم بالعذاب فورًا، وهذا مخالف لحكمة الله في إعطائهم فرصة للتوبة والإيمان[89].

التفسيروالبيان:

يقول الإمام الرازي: اعلم أن هذا النوع الثالث من شبه منكري النبوات فإنهم يقولون: لو بعث الله إلى الخلق رسولا، لوجب أن يكون ذلك الرسول واحدا من الملائكة، فإنهم إذا كانوا من زمرة الملائكة كانت علومهم أكثر، وقدرتهم أشد، ومهابتهم أعظم، وامتيازهم عن الخلق أكمل، والشبهات والشكوك في نبوتهم ورسالتهم أقل. والحكيم إذا أراد تحصيل مهم فكل شيء كان أشد إفضاء إلى تحصيل ذلك المطلوب كان أولى. فلما كان وقوع الشبهات في نبوة الملائكة أقل، وجب لو بعث الله

[88] أبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1431ه)، ج3، ص112-113.

[89] ينظر: الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه)، ج4، ص91-92.

رسولا إلى الخلق أن يكون ذلك الرسول من الملائكة هذا هو المراد من قوله تعالى: وقالوا لولا أنزل عليه ملك واعلم أنه تعالى أجاب عن هذه الشبهة من وجهين:

أما الأول: فقوله ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ومعنى القضاء الإتمام والإلزام، ثم هاهنا وجوه:

الوجه الأول: أن إنزال الملك على البشر آية باهرة، فبتقدير إنزال الملك على هؤلاء الكفار، فربما لم يؤمنوا كما قال: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة إلى قوله ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله [الأنعام: 111] وإذا لم يؤمنوا وجب إهلاكهم بعذاب الاستئصال، فإن سنة الله جارية بأن عند ظهور الآية الباهرة إن لم يؤمنوا جاءهم عذاب الاستئصال، فهٰهنا ما أنزل الله تعالى الملك إليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب

والوجه الثاني: أنهم إذا شاهدوا الملك زهقت أرواحهم من هول ما يشهدون، وتقريره: أن الآدمي إذا رأى الملك فإما أن يراه على صورته الأصلية أو على صورة البشر. فإن كان الأول لم يبق الآدمي حيا، ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل عليه السلام على صورته الأصلية غشي عليه، وإن كان الثاني فحينئذ يكون المرئي شخصا على صورة البشر، وذلك لا يتفاوت الحال فيه سواء كان هو في نفسه ملكا أو بشرا. ألا ترى أن جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كأضياف إبراهيم، وأضياف لوط -عليهم السلام-.

والوجه الثالث: أن إنزال الملك آية باهرة جارية مجرى الإلجاء، وإزالة الاختيار، وذلك مخل بصحة التكليف.

الوجه الرابع: أن إنزال الملك وإن كان يدفع الشبهات المذكورة إلا أنه يقوي الشبهات من وجه آخر، وذلك لأن أي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته باختيارك وقدرتك، ولو حصل لنا مثل ما

حصل لك من القدرة والقوة والعلم لفعلنا مثل ما فعلته أنت، فعلمنا أن إنزال الملك وإن كان يدفع الشبهة من الوجوه المذكورة لكنه يقوي الشبهة من هذه الوجوه[90].

وقال أبو السعود: فيما رُويَ عن الكلبي ومقاتل ونظيرُه قولهم لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً ولما كان مدارُ هذا الاقتراح على شيئين إنوال المَلَك كما هو وجعلِه معه عليه السلام نذيراً أجيب عنه بأن ذلك مما لا يكادُ يدخُل تحتَ الوجود أصلاً لاشتماله على أمرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لِما أن إنزالَ المَلَك على صورته يقتضي انتفاءَ جعلِه نذيراً وجعلُه نذيراً يستدعي عدمَ إنزاله على صورته لا مَحالة وقد أشير إلى الأول بقوله تعالى {وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِىَ الامر} أي لو أنزلنا ملكا على هيئاته حسْبما اقترحوه والحالُ أنه مِن هوْل المنظر بحيث لا تُطيقُ بمشاهدته قوى الآحاد البشرية ألا يرى أن الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام كانوا يشاهدون الملائكةَ ويفاوضونهم على الصور»[91].

لطائف لابدّ من ذكرها:

1. أن الجنس إلى الجنس أميل.
2. أن البشر لا يطيق رؤية الملك،
3. أن طاعات الملائكة قوية فيستحقرون طاعة البشر.[92]

الصور البلاغية في الآية:

الاستفهام الإنكاري، اعتراض المشركين واستنكارهم لعدم نزول الملك مع النبي -صلى الله عليه-

التصوير التمثيلي، تصوير لنزول الملك، كإشارة إلى إنهاء الحجة.

---

[90] ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420ه)، ج12، ص486-487.

[91] أبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1431ه)، ج3، ص112-113.

[92] ينظر: الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420ه)، ج12، ص487.

التضاد، (قضي الأمر – لا ينظرون).

الإيجاز، (قضي الأمر)، تعبير مختصر يشمل معنىً واسعًا.

الشرط الافتراضي، (ولو أنزلنا ملكا)، أسلوب الشرط هنا يبرز استحالة تحقق طلب المشركين.

ما ترشد إليه الآية:

1. ضرورة الإيمان بالغيب، وعدم اشتراط أدلة حسية لإثبات الحق.

2. التحذير من الاستمرار في الكفر والعناد، لأن لله سننًا لا تتبدل.

3. التأكيد على حكمة الله ورحمته في إرسال الرسل من جنس البشر، وتأجيل العقاب.

4. استهزاء الكافرين بآيات الله ليس دليلًا على ضعف الحجة، بل على جهلهم وعنادهم.

5. عاقبة الإصرار على التكذيب وخطورة طلب آيات كبرى للتحدي؛ لأن ذلك يؤدي إلى القضاء عليهم إذا لم يؤمنوا.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من ختم به الله الرسالات، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد. لقد توصل هذا البحث المتواضع في نهاية المطاف إلى عدة نتائج، أهمها:

1. آيات الله تدل على توحيده وقدرته في الخلق والتدبير.
2. دعوة الإنسان إلى التفكر في الخلق وفي عاقبة الأمم السابقة.
3. التكذيب بآيات الله يؤدي إلى الهلاك، كما حدث للأمم السابقة.
4. الكافرون يتعنتون في طلب المعجزات والأدلة، رغم وضوح الحجج.

5. الردّ على حجج المشركين وبيان إصرارهم على الكفر والانكار.
6. إرسال الرسل من جنس البشر يتناسب مع طبيعتهم، وهو جزء من رحمة الله بعباده.

أخيرا يوصي الباحث طلبة العلم بالاستفادة من كتب الأوائل؛ فإنها غنية وثرية بالموضوعات التي تحتاج إلى مزيد عناية واهتمام.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصادروالمراجع:

القرآن الكريم:

1. ابن راهويه: إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، **مسند إسحاق بن راهويه**، (المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، ط1، 1991م).
2. ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،(تونس: الدار التونسية للنشر، ط1، 1984م).
3. ابن عطية: أبو محمد عبد الخالق بن غالب بن عبد الرحمن، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، (بيروت: دار الكتب العملية، ط1، 1427ه).
4. أبو السعود: العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1431ه).
5. أبو زهرة: محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 2001م).

6. الآلوسي: محمود بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه).

7. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير، ط5، 1993م).

8. البقاعي: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ط2، 1984م).

9. البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المر عشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418ه).

10. الثعالبي: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418ه).

11. الجزائري: جابر بن موسى أبو بكر، **أيسر التفسير لكلام العلي الكبير**، الرياض: مكتبة العلوم والحكم، ط5، 2003م).

12. الجوزي: جمال الدي أبو الفرج عبد الرحمن، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1442ه).

13. الحاكم: أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: عادل مرشد، أحمد برهوم، محمد كامل، (القاهرة: دار الرسالة العالمية، ط1، 2018م).

14. الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر الحسن، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث، ط3، 1420ه).

15. الزحيلي: وهبة، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، ط1، 1991م).

16. الزركشي: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م).

17. الشربيني: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب، **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، (القاهرة: مطبعة بولاق، ط1، 1431 ه).

18. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرو اية والدراية من التفسير**، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1414ه).

19. الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط2، 1994ه).

20. القرطبي: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1974م).

21. الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون الشهير بتفسير الماوردي**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1431ه).

22. المراغي: أحمد بن مصطفى، **تفسير المراغي**، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1946م).

23. النسفي: نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد الحنفي، **التيسير في التفسير**، تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرون، (تركيا: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، ط1، 2019م).

24. النعماني: سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي، **اللباب في علم الكتاب** تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1998م).

25. القاسمي: محمد جمال الدين بن محمد، **تفسير القاسمي محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1418 ه).

26. الواحدي: علي بن أحمد بن محمد النيسابوري، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، ت: الشيخ عادل، علي محمد معوض، أحمد عبد الغني، عبد الرحمن عويس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994م).

27. جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **الاتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتب، ط1، 1974م).

28. جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، **أسرار ترتيب القرآن**، تحقيق: عبد الكريم أحمد عطا، (القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1، 2002م).

29. درويش: محي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، (بيروت: دار ابن كثير، ط4، 1415 ه).

30. شلتوت: محمود شلتوت، **تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى**، (القاهرة: دار الشرق، ط12، 2004م).

31. رشيد رضا: محمد، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتب، ط1، 1990م).

32. طنطاوي: محمد سيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة: دار النهضة، ط1، 1998م).